غنى الجار

لعبد الحميد الديب

أُحلُّ بها لله راضيةً نفسي — وأشربها في الصبر مترعةً كأسي
على موهباتي الف دَيْنٍ لأمتي — على أني فيها لدى محنتي منسي
وأحتمل الدنيا كأني خلقتها — وأن جميع الخلق عُلِّق في رأسي
رفعتُ حجاب الشمس فيها فأطلعت — عليَّ النهار الصفو خُلواً من الشمس
على القرب مني كنز قارون ماثلاً — ولما أنلْ منهُ سوى حُرقة اليأسِ
في بيت جاري آثر المالُ وكرهُ — فيصبح في لمع الثراء كما يمسي
وجاري جماع الباخلين وظلمهم — فلم يدع محروماً بعيدٍ ولا عُرس
تكبَّر فالألفاظ منهُ إشارة — كأن عباد الله طرًّا من الخرس
وإن لطق الفصحى فمن طرف أنفه — كنفخة ذي مال وجاه من الفرس
له أسرة كالروض زهراً وصادحاً — فمن شامها ألفى ملائك فردوس
بنون بنات كالورود ملابساً — يمرون كالإصباح معتدل الطقس
يمرُّ على سكناي في ذيل بيته — مرور عيون الموسرين على الفلس
محوتُ على قصف الرياح وصوته — وما أحدث الطرق الخفيّ من الجرس
يطالبني بالأجر في غيظ بائعٍ — تصيَّده المحتال بالثمن البخس
وقال يواري ظلمهُ أي ضامنٍ — لكني تعريت عن سرير وعن كرسي
أراك هنا كلّ الأثاث ولا أرى — سوى قلم ثاوٍ على الأرض أو طرس
فقلت معاذ الدِّين ما كنت مرة — غريماً وما أذللت يومي ولا أمسي
إذا كانت السكنى بأجرٍ مذلةً — فما أرحب المجان في غرف الحبس
وأسمعته صوت الدراهم فانحنى — يقدم أعذار اليهود من الوكس
وأخضع فقري كبره وثراءهُ — وأيُّ غنى للمرء غير غنى النفس